نقطة حمراء في الذاكرة

مجموعة من الكتّاب

نقطة حمراء في الذاكرة

قصص في شرف الموت

مجموعة قصصيّة

Qindeel | قنديل

(Series of Stories)

نقطة حمراء في الذاكرة

مجموعة قصصيّة

مجموعة من الكتّاب

© 2018 Qindeel printing, publishing & distrubtion

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو نقله على أي نحو، و بأي طريقة، سواء أكانت إلكترونية أم ميكانيكية أم بالتصوير أم بالتسجيل أم خلا ف ذلك، إلا بموافقة الناشر على ذلك كتابة مقدماً.

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

قنديل | Qindeel

للطباعة والنشر والتوزيع

Printing, publishing & Distribution

ص.ب: 47417 شارع الشيخ زايد

دبي – دولة الإمارات العربية المتحدة

البريد الإلكتروني: info@qindeel.ae

الموقع الإلكتروني: www.qindeel.ae

© جميع الحقوق محفوظة للناشر 2018

أُنجزت هذه المجموعة القصصية بإشراف

القاص إسلام أبو شكير

في إطار برنامج دبي الدولي للكتابة

الإهداء

إلى من فاضت أرواحهم، ومازالوا بيننا.. ويظلّون..

المشاركون

مقدمة **11**

شششش..! 13
فاطمة العامري (الإمارات)

لم ينتبه لها أحد 19
أمل الكعبي (الإمارات)

زجاجة عطر 25
أحمد بن محمد (سوريا)

حذاء عسكري 31
أحمد عبد العاطي نور (مصر)

دحنون 37
ربى يونس (الأردن)

اســـم 45
ربى يونس (الأردن)

مقتنيات ثمينة 53
مريم الفارسي (الإمارات)

رائحة أخي 57
إسلام أبو شكير (سوريا ـ المشرف على الورشة)

مشروع نابض.. وجيل واعد

منذ إطلاق «**برنامج دبي الدولي للكتابة**» عام 2013، تحت رعاية سمو الشيخ أحمد بن محمد بن راشد آل مكتوم، رئيس **مؤسَّسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة**، كان علينا مضاعفة الجهود؛ لنكون أكفاء لتحمُّل مسؤولية إعداد جيل من الكتَّاب الشباب لحمل مشعل الفكر، وليصبحوا في مصاف الكتَّاب العالميين، وقد آلينا على أنفسنا أن نذلِّلَ كلَّ العقبات التي تحُول دون نجاح هذا المشروع الحيوي النابض، الذي يعكس وجهاً حضاريّاً آخر من وجوه دبي.

وها نحن ذا، نرى عشرات الكُتَّاب الشباب الذين تخرجوا في البرنامج في مختلف حقول الكتابة، حيث الرواية والقصة والترجمة والكتابة للأطفال واليافعين، والأمل معقود باتجاه فنون كتابية أخرى؛ ليكتمل المشهد الإبداعي مع جيل موهوب يتقن فنون الكتابة الاحترافية، حسب منهج علمي ولغوي، وتقنية صحيحة، جيل تدرَّب على أيدي أساتذة أكفاء، نقلوا له المعارف والخبرات والمهارات اللازمة؛ لتكتمل دورة المشهد الاحترافي، والهدف الكبير أن نصل بهم إلى العالمية.

لقد أعطى برنامج دبي الدولي للكتابة للشباب الموهوبين إبداعيّاً، جرعةً من الأمل ليحقّقوا حلمهم، ولم نكتفِ بتدريب الموهوبين داخل الإمارات؛ بل انطلقنا عربيّاً عبر ورشٍ تدريبيَّةٍ في تونس ومصر والكويت، متجاوزين الحدود الجغرافية للوصول إلى الشَّباب العربي في بلدانهم، وإطلاق ورشات تدريبية مع مدربين محليين مشهود لهم بالكفاءة؛ لتصبحَ الفائدةُ من البرنامج أوسعَ وأشمل.

لقد كان هدف البرنامج منذ البداية، دعم المؤلفين والوصول بهم إلى العالمية، في شتَّى مجالات المعرفة من العلوم والبحوث إلى الأدب، وقد لمسنا نتائج طيبة خلال الورشات الماضية؛ فقد فازت كتب من البرنامج بجوائز مرموقة، وبات يُنْظَرُ إلى هذه التجربة بكثير من التقدير والاحترام داخل الإمارات وخارجها. وها نحن اليوم ندفع بكوكبة جديدة من خريجي البرنامج إلى الساحة الثقافية، عبر هذه الكتب المتميزة التي أُنْجِزَت خلال البرنامج، ونحن على يقينٍ بأنها ستكونُ موضعَ تقديرٍ وترحيبٍ من القرَّاء والنقَّاد والمهتمِّين.

جمال بن حويرب

المدير التنفيذي

لمؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة

شششش!

فاطمة العامري*

بـدأ الأمـر عندمـا كنـتُ أحـاول حفـظ قصيـدة فـي مـادّة اللغـة العربيـة؛ انتبهـت إلـى عينيـه تلاحقانني أينمـا اتّجهـت. هـل كان يفعلهـا دائمـاً دون أن أنتبـه؟ أخـذتُ أتنقّـل مـن أقصـى الغرفـة إلـى أقصاهـا وعينـاي فـي عينيـه؛ جرّبـت ذلـك مـراراً لأتأكّـد، حتـى وقفـتُ أمامـه ثـمّ خطـوتُ نحـوه. أدرتُ رأسـي إلـى اليميـن مـرّة، وإلـى الشـمال مـرّة أخـرى، وعينـاي معلّقتـان عليـه.. نعـم.. إنّـه يتابعنـي!

اقتربـتُ أكثـر. ثبّـتُّ عينـيّ فـي عينيـه، فشـعرتُ بـأن بؤبؤيـه مصوّبـان نحـوي، فتعمّـدتُ أن أرمـش عـدّة مـرّات، وخيّـل إليّ أنـه يرمـش معـي؛ يُغلـق عينيـه كلمـا أغلقتهمـا. يفتحهمـا كلمـا فتحتهمـا.. فغمـزت، وغمـز معـي.. ضحكـت، فعبـرت مسـمعي ضحكـةٌ مألوفـة.. عـدتُ والتفـتُّ إليـه، فكانـت ابتسـامته هـذه المـرّة أعـرض، كأنـه قـد ضحـك للتـوّ!

أمسكتُ أطراف الإطار الذي ضمّه، ثم وخزت وجهه بقلمي. مالت شفتاه إلى الأسفل وبدا متوجّعاً. ضحكتُ، فسمعتُ الضحكة المألوفة ذاتها، ثمّ مرّرت إصبعي على الصورة، فشعرتُ بحرارةٍ تنبعث منها؛ أقصد من وجهه، أذنيه، أطراف يديه.. وبدا لي أن صدره كان يعلو ويهبط ببطء، كما لو أنه.. كما لو أنه يتنفّس؛ وتأكدت أخيراً أن هذه الصورة.. صورة أبي.. حية!

وما كدت أفتح فمي لأنادي أمّي، حتّى انتبهتُ إلى سبّابته يُلصقها على فمه:

ـ «شششش!»

همستُ متفاجئاً:

ـ أنت حيّ فعلاً!

ـ نعم

ـ اشتقتُ إليك!

ـ وأنا كذلك.. لنُبقِ الأمر سرّاً بيننا.

وأصبح هذا سرّي الجميل الذي لا أودّ أن أشاركه أحداً؛ لا أمّي، ولا أخي، ولا جدّتي.

وخشية فضح السرّ، كنتُ أنتظر الجميع لينام،

فأحظى بفرصة مراقبته والحديث معه، وإخباره بتفاصيل يومي، حتى إنني بدأت آكل معه، وأذاكر، وأحلّ مسائل الرياضيات إلى جانبه، وفي أحيانٍ أخرى كنتُ أقفُ أمامه أشكو له مناوشاتي مع أخي الذي يأخذ دوري دائماً في اللعب بالجهاز اللوحي «iPad»، أو أشكو له معلّم العلوم إذا وبّخني لتقصيري في المادة. كان بطريقة ما يُطمئنني، يُسعدني بمتابعته، بابتسامته الراضية على شفتيه، بالمسمّيات التي يُطلقها عليّ، كـ «صديقي» و«شبيهي» و«مستر شجاع». بقُبلته التي كنتُ أحظى بها قبل النوم كلّما ألصقتُ وجهي على صورته.

دخل أخي مرّة عليّ وهو يفركُ إحدى عينيه الناعستين:

ـ إلى من تتحدّث؟

ـ كنت أذاكر.. كنت أراجع القصيدة.

لم أشأ أن أخبره... خفتُ أن يكتشف سرّي فيفضحه.

* * *

في يوم من الأيّام اضطررت إلى حمل الصورة معي إلى مباراة كرة القدم التابعة لبطولة المدارس، أردته أن يحضرها؛ قلتُ لجدّتي، عندما سألتني عن السبب، إن

ثمة خدشاً في الإطار سنصلحه بعد المباراة. ولسبب ما، لا أدري ما هو، ضحِكت جدّتي. لم أفهم سبب ضحكتها آنذاك، لكنني كنت سعيداً أنّ أحداً لم يعلّق على تصرفي.

حجزتُ له مقعداً قرب جدّتي ليُتابع المباراة. كنتُ ألمحه وهو يضحك ويشجّعني؛ خاصّة عندما أحرزتُ هدفاً وحملني أصدقائي على أكتافهم. سمعته صفّر وصاح:

- برافو.. برافو.. هذا ابني!

عدتُ تلك الليلة سعيداً جدّاً، ولشدّة سعادتي أبقيته معي في الغرفة، أخبرته عن الفريق الذي سنلعب معه بعد تأهُّلِنا، وأخبرني هو عن فريقه الذي كان يلعبُ معه في «الفريج» بعد كلّ صلاة جمعة. لم يكن «كابتن» فريق، لكنه كان ماهراً جدّاً، وكان حلمهُ أن يصير لاعب كرة محترفاً، لكنه فضّل، فيما بعد، ذلك الزيّ البنيّ المميّز بالنجوم المصفوفة على كتفيه.

قضينا وقتاً ممتعاً معاً، وقبل أن أنام سألته أن يحكي لي حكاية، ففعل..

«كان يا ما كان.. في قديم الزمان، في سالف العصر والأوان، بطلٌ شجاعٌ سريعٌ مغوار..».

لا أذكر الحكاية بالضبط، لكنّني أذكر أنّني نمتُ تلك الليلة.. في حضن «بابا»!

في اليوم التالي، كنت عائداً من المدرسة مبكّراً، وأسرعتُ إلى «بابا» أخبره عن تكريمي اليوم كأفضل طالب مشارك في النشاطات المدرسية، لكنني لم أجده. بحثتُ عنه في كلّ مكان. هل يُعقل أنّه غادر الصورة أو الجدار؟ هل غادرني هذه المرّة أيضاً؟ وشعرتُ بألم شديد يعتصر قلبي وأنا أتذكّر تلك الحادثة؛ عندما كان يرتدي زيّه العسكري، واقفاً أمام الباب، فالتقطت له أمّي تلك الصورة، ثمّ سأله أخي:

ـ بابا.. هل ستتأخّر؟

فرك رأس أخي مداعباً وقال بحنان:

ـ كلا.. مسألة وقت حبيبي.

تشبّثتُ أنا بثيابه. التصقتُ به. طوّقت خاصرته قائلاً:

ـ بابا.. هل ستنساني؟

حملني إليه وقال:

ـ من ينسى روحه يا بابا؟

ظللت أبحث عنه، أريده معي دائماً.

ذهبتُ إلى غرفة أمّي. كان الباب مواربـاً، فرأيتها تسرّح شعرها وهي تبتسم بخجل، وانتبهت إلى تمتمات شفتيها. كانت تضحك مرّة، وتمسح دموعها مرّة. بقيتُ في مكاني محاولاً أن أصيخ السمع. ماذا تقول؟ لم أستطع أن أفهم، ففتحتُ الباب أكثر، لأفاجأ وأكتشف أن

أمّي تعرف سِرّي!

*** كاتبة من الإمارات**

لم ينتبه لها أحد

أمل الكعبي*

نقطة من الدم لم ينتبه لها أحد، تؤرقني. لم أستطع مسحها. قطعة القماش المبلّلة التي كنت أمسح بها كادت أن تمزّقها، فألقيت بها بعيداً حتّى ارتطمت بالحائط، وتركت بقعةً انتبه لها الجميع!..

خبّأتها في الدرج كي أنام الليل قريرة العين، لكنها مصرّة على إزعاجي. تتسلل رائحة تلك النقطة من بين الشقوق. تهمس في أذني:

ـ تعالي..

لن ترتاح، ولن أرتاح، حتى تنام بجواري تحت اللحاف الأبيض، تلك الصورة الصغيرة التي تحمل وجهه، وعادت إليّ دونه قبل عام. أفتح عيني، وأول ما

أبحث عنه تلك النقطة التي لم ينتبه لها أحد. ما زالت في مكانها هذا الصباح أيضاً..

خرجت من المنزل أبحث في رفوف المتجر عن أفضل المنظّفات وأغلاها سعراً. قطع شغفي بالبحث صوت زوجي الغاضب:

ـ المنزل مكتظّ بالمنظّفات.. ما هذا الهوس الجديد؟

رحل يجرّ عربة التسوّق بعيداً عني دون أن يسمع تبريري وجملتي القصيرة التي أكرّرها دائماً بيني وبين نفسي «سأشتري واحداً فقط»، ودون أن ينتبه إلى أنني وضعته في العربة. رمقني بنظرة تعوّدت عليها عند المحاسب عندما اكتشف العلبة مدسوسةً بين كومة الأغراض التي اشتريتها. دفع الحساب وهو يهزّ رأسه مستسلماً، ومتحسّراً على الدراهم التي صُرفت على هذا المنظّف الوحيد الذي اشتريته اليوم..

على منديل ورقي أضع نقطة صغيرة من المنظّف الجديد. أخرجتها من الدرج، وبدأت في محاولة مسح نقطة الدم التي شوهت صورته.. محاولة أخرى فاشلة أفسدت طرف الصورة، وبقيت النقطة في مكانها. رائحتها المألوفة تقتلني. تختلق صوراً في عقلي، وتصوّر مشاهد دامية تمزّق قلبي أشلاء..

عندما تختفي هذه النقطة سينتهي عذابي..!

طلبت من ابنتي «مهرة» أن تبحث عبر الإنترنت عن طريقة لتنظيف البقع من الصور، أو أفضل منظّف لبقع الدم فضحكت ساخرة:

ـ هل قتلتِ أحداً أمّي؟

صمتّ قبل أن أجيبها بحسرة:

ـ ربما..!

ربّما.. لأنني لم أصلّ كثيراً، لم أدعُ له كثيراً.. نسيت أنه يقف على الحدّ الجنوبي يمسك بيده سلاحاً، ويعتصر قلبه الخوف من الموت والفراق.. لو واصلت دعواتي بدلاً من زيارة جارتي المريضة. لو أطلت سجودي إلى أن ظهرت آثاره في جبيني. لو سهرت الليالي أبكي تضرّعاً أن تعود إليّ.. (لو) الشيطانيّة كادت تسرقني لو لم ينقذني صوت مهرة التي أربكتها تلك الملامح الحزينة التي عادت لتعلو وجهي. نبرة صوتها التي علت، بشكل مبالغ فيه قليلاً، تشير إلى صورة منتج على هاتفها، وتؤكّد لي أنّ الجميع كتب أنّه الأفضل، وسوف تشتريه لي دون أن يعلم والدها بذلك. يمكنني أن أرى بوضوح محاولاتها خلق موقف مضحك كي أبتسم، وأُزيح تلك الهالة

السـوداء التـي علـت وجهـي. ابتسـامة منـزوعٌ الفـرح منهـا، قدّمتهـا مجاملـة لهـا؛ كـي لا أعيـد فتـح الجـروح المغلقـة...

* * *

علـى الحصيـرة، فـي حديقـة المنـزل، اجتمعـت عائلتـي، كانـوا يتناقشـون فـي شـيءٍ مـا، بينمـا أتفقّـد أنـا شـجيراتي الصغيـرة وثمارهـا. زيـارة خاطفـة مـن والـد زوجي أسـعدتني. الوحيـد الـذي يتفهـم عشـقي للزراعـة، ويشـاركني متعـة التجـوال بيـن الشـجيرات، وتفقّـد تُربتهـا ومشـكلاتها. أكّـد لـي أن سوسـة النخيـل الحمـراء هـي السـبب فـي معاناتـي مـع النخيـل فـي حديقتـي. التقـط حشـرةً كانـت تنهـش فـي إحـدى شـجيراتي. قتلهـا، ثـمّ لفّهـا بمنديـل ورقـيّ بإحـكام. حفـر بإصبعـه، ووضـع الحشـرة فيهـا دون أن ينتبـه لتصرفـه. ليـس هـذا هـو الوقـت الملائـم، ولكنّـي تذكّـرت الصـورة ونقطـة الـدم فسـالت علـى خـدي دمعـة فسّـرها والـد زوجـي بأنهـا دمـوع حـزن علـى شـجيراتي، فوعدنـي بـأن يرسـل العامـل غـداً ليهتـمّ بهـذه المشـكلة..

مضـى أسـبوع.. ومـا زال مشـهد دفـن تلـك الحشـرة ماثـلاً أمـام عينـيّ.. مثـل نقطـة الـدم التـي شـوهت تلـك الصـورة الشـخصيّة الصغيـرة ؛ نقطـة الـدم التـي رافقتـه فـي آخـر

لحظاتـه.. أخطـأت حينمـا لـم أتقبّـل وجودهـا. مارسـت معهـا شـعائر وطقوسـاً لا تتناسـب مـع عقيدتـي..

نقطـة الـدم التـي لـم ينتبـه لهـا أحـد.. حمـدت اللـه أنّهـا بقيـت فـي مكانهـا، دون أن أغسـلها، دون أن ألفّهـا بمنديـل ورقـيّ أبيـض.. حفـرت بيـدي العاريـة حفـرة بجانـب شـتلات الأقحـوان المزهـرة في حديقتي. غطّيتهـا بالتراب، ومارسـت حقّـي فـي البـكاء علـى رحيلـه، دون اعتبـارات للهـدف الـذي رحـل بسـببه، أو مراعـاة لمشـاعر عائلتي التـي تغالـب الحـزن بمشـاعر الفخـر. حقّـي فـي أن أنـدب حظّـي، ولـو ليـوم واحد، لرحيلـه. حقّـي فـي أن أشـتاق، وأكـره الأسـباب، علـى أمـل أن تتلاشـى تلـك النقطـة الحمـراء مـن ذاكرتـي؛ فـلا أرى إلا عظمـة وهيبـة وجهـه، وترسـم زهـرات الأقحـوان الابتسـامة علـى شـفتي كمـا كانـت تفعـل بـي ابتسـامته.

*** كاتبة من الإمارات**

زجاجة عطر

أحمد بن محمّد*

رشة، اثنتان.. والثالثة على الوسادة غترته الحمراء المتضوعة بالعود المخلوط ببعض عطور نهر السين التفَّت لى العينين. انعقد الطرفان عند مؤخر الرأس. أكبَّت على الفراش. تسارعت الأنفاس. تدافعت نبضات القلب الواحدة تلو الأخرى. دفء. نقرات المطر على النافذة. هزيم متقطع. ارتخت الأطراف. تمدد الساعدان على جانبي الجسد المنهك. خفتت الأصوات. تنهيدة، ابتسامة، وانتقال إلى عالم الأحلام.

الشجرة الضخمة. الظلال الوارفة المستلقية على الأعشاب. خرير مياه الجدول. رائحة الزهور. الطبيعة الساحرة ذاتها. شهيق. وامتلأ الصدر بعبق الحلم الجميل.

ـ قلت لكِ ألا تكثري منه.

ـ حمـد، صدقنـي! ثـلاث رشـات فقـط.. بالمناسـبة؛ ألـن تخبرني مـن أيـن اقتنيتـه؟ إنـه علـى وشـك الانتهـاء فعـلاً. لـم تتبـق منـه سـوى بضـع رشـات أخـرى و..

ـ هذه المشكلة، إذا انتهى.. آآآآه..! هل وجدتِ الخاتم؟

ـ أجل أجل.. لقد وجدته، عاهدت نفسي ألا أخلعه مرة أخرى.

عـمَّ الهـدوء. خطـت نحـوه. ارتمـت بيـن كتفيـه العريضيـن. أحاطـت خصـره بذراعيهـا. أغمضـت عينيهـا السـوداوين فـي سـكينة. تبسـمت فسـالت دمعتهـا علـى غمـازة خدهـا الأيمـن. أحنـى رقبتـه. أرخـى جفنيـه علـى عينيـه اللوزيتيـن. قبّـل رأسـها. احتضنهـا. مضـت ثـوان قبـل أن يبتـل مفـرق شـعرها.

ـ ألم تفكر بأن تغسل هذا الدم عن بدلتك؟

ـ هههههههـه.. لـن يختفـي هـذا الـدم مهمـا حاولـت. بمناسـبة الحديـث عـن بدلتـي، هـل مـا زالـت أمـي تعلـق قبعتـي فـي المنـزل؟

ـ عمتـي لـم تنسـكَ أبـداً. تمنـت أن تعلـق بدلتـك كاملـة فـي الصالـة، ولكـن الشـيخ أمرهـم أن يدفنـوك بهـا، دون أن يغسـلوك حتـى!

ـ أجل، أعرف.

أرسلا بصريهما على امتداد المروج. تفقدا الأفق الممتد. حدّقا في الشجرة المتسمِّرة إلى جانبهما. أطالا تفحص أغصانها المتشابكة، عادت بعدها الأعين لتلتقي من جديد. تشابكت الأصابع. انثنت أصابع الأقدام ضاغطةً على الأرض. ارتفعت محاولةً تقليص فارق الطول. تقاربت الأنفاس. شهق زفيرها..

ـ انتظر.. انتظر!! أين خاتمك؟ أم أنه أنا فقط من يجب عليها المحافظة على خاتمها والاعتناء به!؟ لقد وبختني في المرة الماضية، وها أنا أراك اليوم وقد أضعت خاتمك! ألن تكف عن..

ـ انتظري أنت.. لم أُضع الخاتم، ولكنني نسيته على الطاولة قبل أن أخرج من المنزل وآتي إليك.

ـ منزل! قل إنك تريد الاستخفاف بي؟

ـ أجل.. منزل. أنا لا أستخف بك يا بلهاء. منزلي في أعلى هذه الشجرة.

ـ حسناً إذاً خذني إليه الآن.

ـ كلّا.. أبداً.

ـ إذاً سأصعد إليه وحدي.

ـ إياك أن تفعلي!

ـ ولم!!؟

ـ لا يوجد سبب معين.. لا تفكري في ذلك قط.

ـ ألا تنوي التخلي عن كتمانك هذا؟

ـ هههههههه.. ليس قبل أن تتخلَّي عن سذاجتك.

علت ضحكاتهما. ركضت إليه. حملها كطفلة مدللة. رمى بها إلى الأعلى. التقطها. دار بها حتى دار به ما حوله فسقط على قفاه. تمددت فوقه. ضحكا مجدداً. ثم استلقت إلى جانبه بين الزهور. اخترق السكون صوت خالد:

ـ انهضي يا سلامة..

غرقت عيناها بالدموع مجدداً..

حلّت العقدة. فكت الغترة عن عينيها. بدت عيناها أصغر..

ـ مبتلة بالدموع.. أليس كذلك؟

ـ صباح الخير يا أمي..

ـ حالتك النفسية في تدهور مستمر.. إلى متى؟

ـ ولكن..

ـ سوف تتأخرين عن حصصك إن لم تسرعي. طلبة الابتدائي مشاكسون، وسوف يسببون لك المشكلات.

أُغلقَ الباب. احتضنت الغترة. استنشقت رائحته. ترجلت من فراشها. علقت الغترة في الخزانة. فكت أزرار الثوب. حملت منشفتها على كتفها. حمام ساخن. قليل من مربى الفراولة على الخبز المحمص. رنين الجرس. ثم النشيد الوطني.

انتهى اليوم الدراسي. عادت إلى المنزل. حمّامها الساخن. استرخاء على الأريكة. نشرة أخبار الخامسة. قهوة السادسة. السابعة لخالد. الثامنة لسلمى. شاي التاسعة. فيلم العاشرة. تأخر الوقت. نهضت إلى الغرفة. أغلقت الباب. شرعت في مراسم النوم. شيء من مساحيق التجميل. رشة. اثنتان. لا أمل بخروج ثالثة. غترة. تنهيدة. فابتسامة.

ها هي الشجرة والمروج. نسمات الهواء المنعشة. راحت ترقص مع الأزهار. تدحرجت على العشب. داعبت مياه الجدول. غسلت وجهها. شربت. ثم استلقت في الظلال.

جلست. وقفت. انتظرت خروجه طويلاً. ألقت بيديها خلف ظهرها. أمسك رسغ اليسرى باليمنى. راحت تتسكع حول جذع الشجرة. جثت على ركبتيها. رفعت بصرها إلى أعلى الشجرة. حاولت رؤية أي شيء يشبه المنزل. تسلقت الشجرة باحثةً عنه فلم تستيقظ.

*** كاتب من سوريا**

دحنون

رُبى يونس*

هل كانت السماء تشاركها البكاء حقاً، أم تهيأ لها ذلك؟

كانـت درجـات الحـرارة قـد بـدأت بالانخفـاض، واسـودّت صفحـة السـماء منـذرة بعاصفـة شـديدة.. وسـرعان مـا بـدأت حبـات المطـر تطـرق زجـاج النافـذة بإيقـاع منتظـم، وكأنهـا خطـوات عزيـزٍ قـادم.

ـ هل ستظلّين ساهرة قرب النافذة هذه الليلة أيضاً؟

نفـس السـؤال الـذي اعتـادت سـماعه ليلـة بعـد ليلـة، بالصيغـة والكلمـات والنبـرة الاسـتنكارية نفسـها.

ـ إن الجو بارد جداً هنا..

التفتـت ناحيـة ابنتهـا التـي كانـت تقـف كمـا كل ليلـة تحمـل بيـن يديهـا بطانيـة دافئـة، وكوبـاً مـن الشـاي السـاخن..

ـ رفقاً بنفسك يا أمي..

أشاحت بوجهها عن ابنتها، وعادت للتحديق في السماء التي كانت قد ازدادت سواداً، وللإنصات لصوت المطر الذي ازداد هطولاً.

لم يكن هناك أمل في أن تستجيب أمها لطلبها بالدخول إلى غرفة دافئة، فهي على هذا الحال منذ شهور، تمضي ليلها الطويل في التحديق من النافذة، لا تنام إلا قليلاً، وتسدّ رمقها بالقليل جدّاً من الطعام؛ بالحدّ الذي يبقيها على قيد الحياة.

وضعت البطانية وكوب الشاي على الطاولة المجاورة لأمها، ثم أسرعت إلى الداخل متمتمة:

ـ تصبحين على خير..

دون أن تنتظر أي ردّ..

أخيراً، عمّ الهدوء، ودخل أهل البيت؛ كلٌّ إلى غرفته استعداداً للنوم. الآن بدأ الجزء الأجمل من يومها!

أخرجت هاتفها النقّال من جيب ردائها، هذا الهاتف الذي كان قد أهداها إيّاه في عيد الأم الأخير الذي احتفلا به معاً.

كان قد لفه بشريطٍ أحمر، وأخفاه خلف ظهره عندما دخل البيت، ثم أظهره لها قائلاً بمرحه المعتاد:

ـ أحضرت لك أحدث هاتف في السوق.. فلتستعدّي للكمّ الهائل من الرسائل والصور التي سأقوم بإرسالها لكِ يومياً، علّ ذلك يخفّف قليلاً من قلقك!

أعادت مشاهدة الفيديو للمرة الألف؛ آخر شيء استلمته منه؛ كان يرتدي ملابسه العسكرية الكاملة، ويحمل بندقيّته بيده اليمنى، وهاتفه بيده اليسرى، ويخاطبها عبر الكاميرا قائلاً:

ـ سنتّجه من المعسكر إلى الجبهة غداً صباحاً. نحن بخير. ادعي لنا..

كانت تحفظ كلمات كلّ رسائله، وتقلّب في كلّ الصور التي كان يرسلها يوميّاً. كانت تشاركه كل أحداث يومه، وتحفظ مواعيد التدريب وتناول الوجبات.

قامت من مكانها بخفّة لا تناسب جلوسها الطويل، واتجهت إلى حيث تمضي سواد كل ليلة؛ إلى غرفته؛ جنّتها الصغيرة.

كانت تحرص على ألا يدخل هذه الغرفة أحد عداها. هذه

الغرفة خطّ أحمر، ممنوع على أهل البيت دخولها أو العبث بمحتوياتها. تحرص على أن تقوم بتنظيفها بنفسها، وإعادة كل شيء إلى مكانه كما تركه تماماً.

جلست على حافة السرير المرتب بعناية، وتناولت الكتاب المقلوب على ظهره الذي يتوسط السرير. كان قد بدأ القراءة فيه قبل أن يغادر للمرة الأخيرة. تفتح الكتاب كل ليلة على الصفحة التي طوي رأسها إلى الداخل؛ كدلالة على المكان الذي وصل إليه في القراءة. تجوب الأسطر بحثاً عن عينيه؛ علّها تعانقهما في إحدى الكلمات.

كل شيء في الغرفة على حاله منذ شهور؛ منفضة السجائر على المكتب الخشبي، الراديو الصغير الذي أهداه إياه والده الراحل عندما أحرز المركز الثاني في إلقاء الشعر. كان يحب الشعر، ويحفظ الكثير منه. لطالما وبّخته عندما كان يترك دروسه ليقرأ في دواوين المتنبي، وأحمد شوقي، ومحمود درويش، ولطالما صفّقت له بكل حماسة وهو يعتلي منصات التتويج في كل مسابقة شعرية يخوضها.

على الحائط المقابل للسرير صورة كبيرة معلقة، تحمل شعار فريق كرة القدم الذي يشجعه، بينما تقبع على الحائط الآخر صورة عائلية كبيرة مؤطرة بإطار ذهبي لامع؛ يبدو فيها

هـو وأختـه يتوسـطان والديهمـا. اتجهـت إلـى الصـورة، ومسـحت بإصبعهـا بعـض الغبـار الـذي ظنـت أنـه يخفـي بعضـاً مـن ملامـح وجهـه. كـم كانـت ابتسـامته جميلـة!

قادتهـا قدماهـا إلـى خزانـة الثيـاب. فتحتهـا بأسـى. إنهـا تعـرف كل قطعـة فيهـا. تحفـظ تاريـخ شـرائها، والمناسـبة التـي اشـتراها لأجلهـا. كان يحلـو لـه أن يصطحبهـا لاختيـار الثيـاب معـه، فـلا ذوق يعلـو فـوق ذوقهـا؛ كمـا كان يـردد دائمـاً.

أخرجـت تلـك البدلـة السـوداء التـي اشـتراها قبـل أن يغـادر بمـدة يسـيرة. كانـت تنتظـر عودتـه بفـارغ الصبـر لتـراه فـي أجمـل حلـة، وتفـرح لفرحـه!

أوصالهـا ترتجـف وهـي تخـرج تلـك السـترة. لا تعـرف، أترتجـف مـن البـرد، أم مـن الرهبـة؟ عـاد صديقـه يحملهـا وبعـض أشـيائه. سـترة قـد تحـول لونهـا إلـى الأحمـر القانـي، وتوسـطت صدرهـا ثلاثـة ثقـوب مـدوّرة.

كمـا فـي كل ليلـة، لبسـت تلـك السـترة؛ ففاحـت منهـا رائحـة تشـبه رائحتـه. لقـد أدمنـت تلـك الرائحـة. شـعرت بالـدفء. أطبقـت السـترة جيّـداً، فشـعرت بأنهـا تضمـه. تسـتطيع أن تنـام الآن.

كان المطر قد توقف في صبيحة اليوم التالي، وخرجت الشمس لتلقي على العالم الدفء بحنان.

على حافة نافذتها من الخارج لاحظت عِرقاً أخضر هزيلاً يشقّ طريقه جاهداً للخروج من بين فتحات الجدار، تُتوّجه أربع بتلات بلون أحمر قانٍ تتوسطها بقعة سوداء.

*** كاتبة من الأردن**

اسم

رُبى يونس*

ثمّ ضجّت القاعة بتصفيقٍ هادر..

لم يكن يعرف أن كلماته البسيطة تلك سيكون لها كل هذا الأثر في الحضور الذين استمروا في التصفيق بالحماس نفسه دقائق عدّة، وقد وقف أكثرهم على قدميه تقديراً وإكباراً.

بدا له هذا الصباح مختلفاً عن بقيّة صباحات المنزل. الحركة نشطة منذ خيوط الشمس الأولى. كلٌّ قد اتّخذ موقعه؛ جدّته تكوي قميصه الأبيض الجديد بعناية فائقة، وتهتمّ بتعطيره بعطر والده، رغم أنّها لم تسمح له أن يستخدم هذا العطر من قبل أبداً، وتلك أمّه تعمل على تنظيف حذائه وتلميعه بكلّ ما وقع في يدها من مستحضرات. أمّا عمته فكانت تقف في المطبخ تحضّر أطباق الفطور، وتملأ المائدة بلذيذ الطعام. كانوا يتحدّثون مع بعضهم بحماس

لـم يعهـده منـذ زمـن، وقـد ارتفعـت أصواتهـم واختلطـت، حتـى خيّـل إليـه أنّـه قـد لمـح ابتسـامات ترتسـم علـى محيّاهـم! كان قـد بـدأ ينسـى شـكل الابتسـامة علـى وجـه أمّـه وجدّتـه وعمّتـه، فقـد أطبـق علـى هـذا البيـت صمـتٌ ثقيـل منـذ مـدّة، واكتفـى أهلـه بالضـروري مـن الـكلام.

ارتفـع صـوت أمّـه يناديـه، قـام متثاقـلاً واتّجـه إلـى دورة الميـاه. غسـل وجهـه وأسـنانه، ثـمّ جلـس إلـى طاولـة الطعـام ليتنـاول معهـم الإفطـار. كانـت عينـاه تجـولان بدهشـة بيـن الأطبـاق الكثيـرة التـي ازدانـت بهـا المائـدة؛ هـذا طبـقٌ كبيـرٌ مـن البيـض المقلـيّ ينتصـف المائـدة، يجـاوره طبـقٌ يحـوي ثلاثـة أنـواع مـن الجبـن، إضافـة إلـى طبـق كبيـر مـن العسـل، ونوعيـن مـن المربّـى منزليـة الصنـع. جـاءت عمّتـه مـن المطبـخ تحمـل كأسـاً كبيـرة مـن عصيـر البرتقـال، وضعتهـا أمامـه متمتمـة:

ـ عصرتُه خصيصاً لك..

ـ هل اليوم هو العيد؟

صاح بدهشة!..

ـ أين نحن من العيد يا بنيّ!؟

أجابت الجدّة بصوت خافت.

ـ أيّ عيدٍ هذا الذي سيأتي علينا هذا العام!

همست أمّه وهي تخفي دمعةً وحيدة هربت من مقلتها.

ساد الصمت بعد جملة الأمّ تلك، وكأنهم تذكروا شيئاً مهماً كانوا قد نسوه، فأيّ عيدٍ سيأتي عليهم هذا العام!

أدار عينيه في الوجوه الثلاثة التي علاها الوجوم، ثمّ شقّ حاجز الصمت هاتفاً بحماس:

ـ سلمت يداكِ يا عمّتي، لم نجتمع منذ مدّة على مائدة شهيّة كهذه!

ثم أعمَل يديه الاثنتين في الأطباق التي أمامه، مطلقاً عبارات الرضا عن الطعم، ومادحاً نفَس عمّته وذوقها في إعداد الطعام.

قالت جدّته بحزم:

ـ أريدك أن ترفع رأسنا اليوم، يجب أن يعرف كلّ الناس أنّ الذي «خلّف ما مات».

أحسّ بقشعريرة تسري في جسده الصغير النحيل، وتوقّف عن مضغ اللقمة التي كان قد وضعها للتوّ في فمه، ثمّ فكّر..

كيف سيكون عليه الحال هذا المساء؟ كيف سيتصرّف؟ وماذا سيقول؟ هل ستسعفه كلماته وأفكاره؟ هل سيفيه حقّه؟ هل سيكون قادراً على صفّ الكلمات بجانب بعضها بعضاً لتنتج جملة مفيدة تضمّ كلّ صفاته؟ هل ستكفي جملة واحدة لتعداد مآثره؟ لماذا وقع الاختيار عليه هو ليقف هذا الموقف العصيب؟ هل سيكون قادراً على تمالك أعصابه!

وقف يغسل يديه وينظر في المرآة المعلّقة أمامه. تأمّل وجهه، وتحسّس بإصبعه مكان الشارب. إن أعوامه الثلاثة عشر ليست كافية بعد لينبت له شارب. ما زال أمامه وقتٌ طويل ليصبح رجلاً حقيقياً كوالده. تحسّس شعره القصير؛ ملمسه الأجعد يشبه تماماً ملمس شعر والده. نظر إلى نفسه مليّاً. نحول جسده يذكّره بوالده. كان نحيلاً أكثر من المعتاد، يتناول السجائر بدلاً من الطعام. ثمّ ما لبثت أن قفزت إلى ذهنه تلك الحادثة عندما قام والده بتوبيخه توبيخاً شديداً حين شاهده يمسك سيجارة بين أصابعه محاولاً تقليده، وتذكّر كلماته التي قالها في أوج غضبه:

ـ أريدك أن تتعلّم منّي العادات الحسنة فقط!

جفّف وجهه بسرعة، ثمّ عاد إلى غرفته واستلقى على السرير ثانية. كان يرجو في قرارة نفسه أن ينتهي هذا اليوم

بسـرعة، وأن ينقضـي حفـل التكريـم ذاك دون أن يضطـرّ للحديـث كثيـراً، فهـو لا يعـرف كيـف سـيبدأ الحديـث وكيـف سـينهيه! هـل يكفـي أن يقـول إنّ والـده كان عظيمـاً، وإنـه ضحّـى بحياتـه لأجـل حريـة البـلاد؟ ولكـن مـا الجديـد فـي ذلـك، فقـد كتبـت كل الصحـف اليوميـة والأسـبوعية مطـوّلاً عـن بطولـة والـده وتغنّـت بتضحيتـه؟ كمـا تصـدّر اسـمه نشـرات الأخبـار عـدة أسـابيع! أيّ كلمـة سـيقولها فـي هـذا الصـدد سـتكون مكـرّرة ومعروفـة.

قطع دخول أمّه إلى الغرفة حبل أفكاره.

ـ مالي أراك شارداً قلقاً؟

قالت أمه..

رفع إليها عينين خائفتين، وأجاب:

ـ أخـاف أن يطلبـوا منّـي الحديـث عـن أبـي فـي الحفـل هـذه الليلـة. لا أعـرف حقـاً مـاذا سـأقول!

ـ سأعود حالاً.

قالـت أمّـه، وخرجـت مسـرعة، ثـمّ عـادت بعـد دقائـق تحمـل ظرفـاً صغيـراً. ناولتـه الظـرف قائلـة:

ـ هـذه رسـالة كتبهـا لـك والـدك عندمـا ولـدت، كان يريـدك

أن تقرأها عندما تبلغ الثامنة عشرة من عمرك، ولكني أظنّ أنّ هذا هو الوقت المناسب لكي أعطيك إياها.

قالت كلماتها تلك، ثمّ غادرت الغرفة تاركةً إيّاه وحيداً بصحبة رسالة بخطّ والده. فضّ الرسالة بأصابع مرتجفة. كانت رسالة من ورقة واحدة مكتوبة بقلم أحمر. سرت قشعريرة في جسده عندما تخيّل أنّ والده قد خطّ رسالته إليه بدمه! طرد الفكرة سريعاً من ذهنه، وبدأ يقرأ:

«أي بنيّ،

لقد أمضيتُ وقتاً طويلاً أفكّر في اسمٍ يناسبك، وأنا متأكّد تماماً أنّك ستكبر وستعرف معنى اسمك جيّداً، بل ستحبّه كثيراً. وحتّى لو كان الله قد شاء أن تأتي بنتاً. فقد كنت سأختار لها الاسم ذاته.

لقد اخترت لك هذا الاسم يا ولدي ليبقى معك دائماً، محفوراً في قلبك وعقلك، ولتعلم يا ولدي بأنني أحبّك بقدر حبّي لاسمك، وكلّ ما أرجوه أن تكبر، وأن تكون دائماً إنساناً صالحاً يليق بكلّ المعاني التي يحملها. فإيّاك ثمّ إيّاك أن تلطّخ هذا الاسم بما لا يليق. حافظ عليه جيداً، واخدمه بكلّ ما أعطاك الله من قوّة، وتذكّر دائماً أن والدك قد اختار لك هذا الاسم لعمق الحبّ الذي يكنّه لك.

لا أعـرف متـى سـتقرأ رسـالتي هـذه، ولكنّـي أرجـو أن تقرأهـا وأنـت رجـل مـدرك لعمـق المسـؤوليّة التـي تحملهـا تجاه اسـمك.

مع محبّتي،

والدك».

وضـع الرسـالة جانبـاً وقـد اغرورقـت عينـاه بالدمـوع، ثـمّ نظـر إلـى صـورة والـده المعلّقـة علـى جـدار غرفتـه. تأمّـل عينيـه قائـلاً:

ـ سأكون كما أردت يا أبي.

* * *

تقـدّم إلـى منصّـة التكريـم بخُطـا واثقـة، مرتديـاً ثيابـه الجديـدة المكويّـة، وحـذاءه اللامـع، ومصفّفـاً شـعره الأجعـد القصيـر بعنايـة. كان يحمـل صـورة والـده، ويشـمّ رائحتـه فـي ثيابـه. كان يـراه أمامـه ويسـمع صوتـه. كان يـدرك أنـه هنـاك فـي مـكان مـا ينظـر إليـه ويبتسـم.

صعـد المنصّـة، وتسـلم وسـام الشـهيد تكريمـاً لوالـده. ثـمّ تقـدّم إلـى الميكروفـون، ونظـر إلـى الحضـور برهبـة لـم يعهدهـا مـن قبـل، فهـو لـم يواجـه هـذا الكـمّ مـن النـاس فـي حياتـه أبـداً. أحـس بالكلمـات تأبـى أن تطيعـه، وشـعر بنَفَسـه يضيـق، وبعرقـه

يتصبّب. التقت عيناه بعيني والدته التي تجلس في الصفّ الأول بين الحضور. ابتسمت، له فأحسّ ببعض الطمأنينة. تذكّر الرسالة ووعده لوالده. استعاد رباطة جأشه، وشعر بشجاعة كبيرة وهو يقول:

«لن أحدّثكم عن شجاعة والدي وبطولاته، فأنتم تعرفون ذلك جيّداً، ولكنّي سأقول لكم شيئاً واحداً فقط. لقد أحبّ والدي هذه البلاد حبّاً عظيماً، وجسّد والدي كلّ هذا الحبّ في اسمي.. أنا.. فلذة كبده..

لقد سمّاني أبي...

وطن»!!

*** كاتبة من الأردن**

حذاء عسكري

أحمد عبد العاطي نور*

بأصابع طويلة وملعقة عريضة يفصل حبات الفاصوليا عن مائها؛ هكذا اعتاد في الواحدة ظهراً أن يذهب إلى المطعم ليتناول وجبة الغداء.

وبينما هو يستمتع باصطياد حباته المفضلة يدخل عسكري ينادي عليه.. قائد الكتيبة يطلب رؤيته بعد أن تلقى مكالمة مهمة من عائلته.

ترك مقعده مسرعاً، وهُرع بجواربَ رمادية داكنة، حتى إنه لم يبال بحذائه ذي القطعة المعدنية المحفور عليها اسمه ورقم تعريفه.

بعينين شاحبتين ألقى التحية العسكرية.

لاحظ القائد أثناء التحية فقده للحذاء، لكنه تدارك ذلك قائلاً:

ـ لقد تلقيت مكالمة من عائلتك تفيد بدخول والدتك المستشفى في حالة صعبة...

ثم تابع حديثه وهو يتلعثم:

ـ ولكن.. أنت تعلم.. غير مصرح لأحد بالخروج من المعسكر في هذه المرحلة الصعبة. الاستعدادات مهمة كما تعلم، ويجب أن نلتزم بهذا.

ـ تمام يا أفندم!

أمر له القائد بحذاء بديل، فأخذه بين يديه متجهاً لعنبره. لم يبال بسخونة الأرض، وحباتها الصغيرة، ولا بنداءات زملائه وتحذيراتهم.

وقف خلف عنبره، وبدأ يدخن سيجارته باضطراب، بينما ينتظر من بعيد قدوم من يمكنه مساعدته.

رمى ما تبقى من سيجارته، وداسها برجله حتى اختفت بين الرمال. ثم تحرك داخلاً إلى عنبره.

صعد سريره العلوي. تمدد بجسده يفكر في أمر والدته في هذا التوقيت الصعب.

رسم بعينيه على سقف العنبر المعدني مشاهد لعلها تخفف قليلاً.

قاطعه زميله قائلاً:

ـ محمـد.. حـذاؤك فـي مكتـب الأمانـات، لقـد وجـدوه بالمطعـم.

ـ مممممممم.. هـل هـو القـدر أن يصـادف مرضهـا المتكـرر غيابـي؟

ـ هل حاولت مع القائد مرة أخرى؟

ـ لا.. لكن لدينا مهمة خلال أيام.

ـ يجب أن تحاول مرة أخرى. ولو زيارة صغيرة لساعات قليلة.

ـ سأحاول مساء..

أخـرج مـن حقيبتـه مفكـرة صغيـرة أضـاف صـورة والدتـه إلـى غلافهـا مـن الداخـل، يتصفحهـا فيتذكـر المـرات التـي سـجلها، ولـم يرافقهـا فـي مرضهـا اللعيـن، مـروراً بكتاباتهـا الرقيقـة وأدعيتهـا المتكـررة التـي مـلأت صفحاتـه.

تمر الساعات سريعة..

قاربـت الشـمس علـى الغـروب، وحـان موعـد التدريبـات المسـائية الختاميـة.

يقف بترقب شديد ونظرات مرتبكة لمكتب القائد قبل أن يغادره.

وأخيراً.. حان الوقت.. الفرصة متاحة ليستأذنه مرة أخرى..

انفرجت سريرته بعد محاولاته، فقد أذن له باثنتي عشرة ساعة تبدأ من العاشرة صباح الغد.

إنها تكفي مؤقتاً.

خرج متجهاً إلى مكتب الأمانات ليأخذ حذاءه. هذا الحذاء المفضل لوالدته، والتي دائماً ما تنظفه له وتلمعه كل إجازة. لكنه وجد المكتب مغلقاً. عاد إلى عنبره ومفكرته ليسجل وقائع الزيارة القادمة.

صفحة بيضاء.. كتب..

«اليوم الثلاثاء، التاسع من أكتوبر تشرين الأول عام 1971 سألتقي بكِ يا أمي للمرة الثانية خلال خمسة أشهر».

أغلق صفحاته ووضعها تحت وسادته، وذهب مع أحلامه باللقاء.

* * *

الساعة الخامسة فجراً..

يفتح عسكري باب العنبر ويضيء أنواره ليوقظ الجميع.

في عجالة ألقى العسكري البيان القادم من القيادة...

«قرر رئيس الأركان القيام بحملة عسكرية مباغتة صباح اليوم، الثلاثاء، التاسع من أكتوبر تشرين الأول عام 1971.. عملية رقم 17».

بدأ كل من في الكتيبة يأخذ مكانه في الاستعداد والانطلاق لتنفيذ المهمة.

* * *

فتح محمد صفحة جديدة في مفكرته. كتب:

«الآن سنخرج لمهمة عسكرية طارئة، وبعدها سوف أذهب إلى أمي متأخراً».

ثم طبع قبلة على صورتها وغادر..

* * *

كلما زاد دفء أشعة شمس الثامنة صباحاً اشتدت حرارة

القتال بين الطرفين، بينما هو يرى أن خطوات تقربه لوالدته كلما انطلقت رصاصة أو سقط عدُوّ..

يجري بين صفوف زملائه، وكأنه يستعجلهم للنهاية.

يخرج من هذا الصف، ويدخل لتلك المجموعة.

وفجأة يظهر بياض في الأفق تزاحمه روائح زكية، وأصوات تنادي:

ـ محمد.. محمد..

لكنه لا يستجيب..

* * *

بقي ممدداً على الأرض. ثم حملوه إلى المستشفى العسكري داخل سيارة الطوارئ.

بعدها ظل هناك يرقد صامتاً بين أروقة الحجرة ملفوفاً ببياض ناصع يخفي جروحاً أدمت جسده..

* * *

والدته ترقد بقناع التنفس الصناعي وأجهزة المتابعة الطبية برناتها الرتيبة، دون وعي بما يدور حولها.

مـرّ الأسـبوع الأول، وحيـن أفاقـت خطفـت بصرهـا لمعـة القطعـة المعدنيـة التـي يحتضنهـا حـذاء محمـد.. الحـذاء الـذي كانـت تحـرص دائمـاً علـى تنظيفـه وتلميعـه.

ظلّـت تحملـق فـي الحـذاء تضمـه إلـى صدرهـا، وتتحسـس حـروف اسـمه المنقوشـة علـى المعـدن الفضـي..

*** كاتب من مصر**

مقتنيات ثمينة

مريم الفارسي*

هناك في زاوية من زوايا غرفته تقع مكتبته التي تحتوي على مجسمات لسيارات متنوعة في أحجامها وأنواعها وألوانها، مصفوفة بطريقته الخاصة والتي شاركته في ترتيبها. على الرفوف العليا مجسمات السيارات الفاخرة وباهظة الثمن، وعلى الرفوف السفلى الأقل سعراً، ثم الأقل. أما كبيرة الحجم فقد صفت على الرف الأوسط؛ لاتساعه.

عُرف بولعه بالسيارات منذ طفولته. وعندما اشترى سيارته هذه في عام 2012، أصبحت صديقته في حله وترحاله، يطمئن عليها بشكل يومي صباحاً ومساء، وأحياناً يمضي اليوم كله معها. لم يفارقها منذ اللحظة الأولى التي التقيا فيها.. لا يكف عن الحديث عنها، والإشارة إلى مزاياها. ولخوفه المفرط عليها كان يرفض أن ينظفها أحد سواه.

ـ كيف أفرط بها وهي كل ما تبقى منه!!؟

تتردد هذه الجملة في منزل جدتي بشكل يومي.. تسعة شهور مضت.. تسعة شهور و«اللكزس» الحمراء مركونة هنا بلا حركة ولا صوت. بكل ما تحتويه. تماماً كما تركها. النظارة الرجالية ذهبية اللون، ذات الإطار العريض من الأعلى بحيث تخفي حاجبي من يرتديها.. متروكة على المقعد الأمامي من السيارة يعلوها القليل من الغبار، أجمل ما فيها خطان بالأحمر والأخضر على جانبيها، ويمكن لمن يتأملهما، بقليل من التركيز، أن يرى كلمة (غوتشي) عليهما وإلى جانبها رزمة من المفاتيح، منها مفتاح السيارة، ومفتاح المنزل، ومفتاح المكتب. هنالك أيضاً عدد من شارات بدلة العمل. الصندوق الأمامي يحمل في جوفه الكثير من الأوراق، منها مَلازمُ تخص إحدى دورات «الجوجيستو» وعقود تخص تأمين السيارة، وتلك الرسالة الورقية التي يحرص على المحافظة عليها. هو رجل تقليدي نوعاً ما، وما يزال يحب الورق، رغم أنه في زمن التواصل الافتراضي الإلكتروني..

وفي المقاعد الخلفية أشياء أخرى مبعثرة؛ أحذية رياضية، قبعات باللون الأسود، وعلب محارم ورقية...

بالنسبة لي بلغت ثمانية عشر عاماً، وقد حان الوقت

لأحقق حلمي القديم بالحصول على رخصة قيادة، ورغم أنني ماهر في ذلك، لكن لا بد من الالتحاق بأحد المعاهد، والخضوع للتدريب..

تعليمات لا يمكن تجاوزها..

تحدثت مع جدتي مراراً وتكراراً حول رغبتي في قيادة سيارة خالي، لكنها كانت ترفض مجرد مناقشة الأمر. فسرت ذلك بأنها تنتظر حصولي على الرخصة أولاً. وها هي الرخصة في جيبي، لذلك جئتها واثقاً من نفسي هذه المرة. ولأول مرة أراها منهارة هكذا..

ـ في آخر صباح له معنا خرج مغادراً، وعلى غير عادته أخذ يودعنا، ويغمرنا بقبلاته. أحسست بدفء حضنه. ودَّعنا على أمل اللقاء بعد أسبوعين. حسبت الأيام والساعات من أجل لقائه مجدداً..

مسحت دموعها، ثم تبعت:

ـ لم أكن أعي ما يحصل. فجأة تحول المنزل إلى خلية نحل؛ عدد هائل من الناس يدخلون المنزل لدقائق ويخرجون. أشخاص أعرفهم، وآخرون لا أعرفهم.. كانوا يعزون فيه؛.. ابني الذي لم أتمكن من وداعه..

ثم نظرت إليّ قائلة:

ـ أما سيارته فدعك منها.. لا تفكر في الأمر أبداً...

أبت جدتي أن تفرط في سيارته. رفضت أن يعتني بها أحد سواها. تغسلها بدموعها قبل الماء. تمسح عليها بيديها الحنونتين عليها قبل قطعة القماش..

تسعة شهور مضت منذ رحيله...

وها نحن ننقل سيارته إلى معرض مقتنيات الشهداء في ساحة الشهداء بأبوظبي. لم تتحرك السيارة من منزلنا إلا بعد رحيل جدتي بشهر..

*** كاتبة من الإمارات**

أخـــي

إسلام أبو شكير*

عـاد أخـي مـن الحـرب أخيـراً. عـاد بعاهـةٍ مسـتديمةٍ لـم نعـرف بـادئ الأمـر كيـف نتعامـل معهـا. لكنّنـا اعتدنـا عليهـا مـع الأيّـام. علمنـا أنّهـم حاولـوا علاجـه. ثـمّ قـرّروا أن لا جـدوى مـن الاسـتمرار..

مشـكلة أخـي أنّـه لـم يعـد مرئيّـاً.. كنّـا نسـتدلّ علـى وجـوده مـن خـلال بعـض الأصـوات التـي تصـدر عنـه أحيانـاً. وأحيانـاً أخـرى كنّـا نشـمّ رائحتـه. وقـد نجـد آثـار قدميـه الموحلتيـن علـى السـجّادة. عادتـه القديمـة التـي لـم يتخـلّ عنهـا: ألّا يخلـع حـذاءه عنـد البـاب. هنالـك أيضـاً دموعـه التـي تعثـر عليهـا الوالـدة علـى مخـدّتـه جافّـةً بيضـاء ناعمـةً كالملـح...

وكنّا قلقين بشأن صحّته...

تقول الوالدة:

ـ كيف يعيش من لا يأكل؟.. ثمّ إنّه يفرط في التدخين..

وتقترح أن نزوّجه. لكنّ الفكرة مستحيلة طبعاً.. ـ من المرأة التي تقبل أن تعيش مع رجلٍ معاق؟..

بقي أخي وحيداً.. إلى أن فقدناه ثانيةً..

حدث ذلك يوم تشييع الوالدة..

أقوى الاحتمالات أنّه نزل الحفرة يعانق جثمانها.. ثمّ أهلنا التراب عليه دون أن ننتبه!!

*** كاتبة من سوريا - المشرف على الورشة**